جاثوم

وليد نصار

جاثوم
وليد نصار
تدقيق لغوي : عبدالله أبو الوفا
تصميم الغلاف : عبير محمد
رقم ايداع: 2018/2148
ترقيم دولي: 978-977-6594-28-9

دار فصلة للنشر والتوزيع
العزيزيه - منيا القمح - مصر
٠١٠٦٧٠٠٠٧٠١
fasla,pub@gmail,com
FB .Com/Fasla .Pub

جميع حقوق الطبع و النشر محفوظه

الطبعه الاولي يناير ٢٠١٨

جميع حقوق النشر محفوظه لدار فصلة للنشر و التوزيع
إن أي تصوير أو اعادة طباعه أو نشر بشكل ورقي أو الكتروني أو ترجمته أو تسجيله صوتيا بدون إذن كتابي مسبق من الدار يعرض صاحبه للمسائله القانونيه

جاثوم

وليد نصار

فصلة
للنشر والتوزيع
Fasla Publishing & Distribution

إهداء

أمي، أحبك بشدة وأهديكِ كل حياتي، ليس مجرد سطور، وليس لأنك أمي، لكن لأنك الشخص الأَوفى الذي التقيته بحياتي القصيرة . لذا دعيني أهدي
تلك السطور لأشخاص لا يستحقون أكثر من سطور،
ذلك الشخص الذي خلف بداخلي الكثير من السوء، ذلك الكم الهائل من الأسى، ذلك البريق الذي انطفأ بعيني؛ كل هؤلاء السيئين الذين التقيتهم بحياتي، أنا ما زلت هنا .

المقدمة

لقد التقيت في حياتي القصيرة بالكثير من السيئين، الكثير حقًا، في بادئ الأمر كان صعبًا أن تتقبل الوجه الآخر لشخص أحببته، أو صادقته، أو حتى توسمت به خيرًا، الكثير والكثير من الذكريات المشتركة تتحول فجأة إلى كوابيس تؤرق نومك كل ليلة، وحالة خوف شديدة من مخالطة البشر أو الانجذاب نحو شخص ما هيمنت على حياتي، لفترة جذبتني هواية ارتياد المقاهي منذ زمن بعيد؛ ولقد كنت أتعجب حقًا من هؤلاء الرجال الذين يجلسون وحدهم بالساعات، ودومًا يراودني نفس السؤال: "أين ذهب أصدقاؤهم؟"، كم كانت ممتعة حقًا صحبة الأصدقاء حتى كبرنا، واختلفت خطوط حياة البعض عن البعض، ومصالح البعض عن البعض، لتعلمنا الحياة درسًا قاسيًا حقًا، كل تلك السنوات لم تكن مقياس على قوة الرباط بينكم، فقط لم تختلف المسارات والمصالح كل ذلك الوقت، النفس البشرية ضعيفة حقًا، يتملكها كم بشع من الحقد والسوء، المحظوظون فقط من يستطيعون ترويضها وتهدئة روعها، في البداية كان الأمر قاسيًا حقًا، ولكن كل شيء أضحى على ما يرام أكثر من ذي قبل؛ لا تدري كم السلام الذي سيتملكك حينما تعتزل السيئين، الحياة قصيرة

للغاية، وإن لم تكن أنت رفيقك الأول والأخير ستقسو عليك للغاية، لا أحد يدوم يا عزيزي، فكن لنفسك كل شيء، وإن تبقى منها شيء قاسمه بعض الآخرين، حقًا كم كانت رائعة كل تلك الذكريات السيئة، وكم من الرائع أنها أضحت ذكريات . السيء في الأمر أن الجميع يتعامل مع أحزانك وصراعاتك على أنها شيء هين، هيا يجب أن تتعافى سريعًا، إنها مجرد صدمة، مجرد موقف، حتى الآن لم يمت شخص واحد على وجه الأرض من لدغة ثعبان، إنها مجرد لدغة، مجرد موقف، الحقيقة أن كل من مات مات بسبب السم، ذلك الأثر الذي تحمله بعد اللدغة، تلك الذكرى السيئة التي يصعب التخلص منها، فتثقلك وتدمرك تدريجيًا، كل أحزاننا الهائلة، كل ذلك الأسى بأعيننا، لم يكن بسبب الموقف عينه، السبب في الأثر الذي خلفه داخلنا، فلا تطلبوا من أحد التعافي، فلا أحد يعرف كم السم في اللدغة إلا من تلقاها، أما من شاهد فلم ير غير تلك اللدغة، مجرد لدغة، المشكلة الأكبر أن يتملكك شعور أن لا قيمة لدورك بالمسرحية، أن من تتقن دورك بشدة، ولكن لا ترغب بالاستمرار، حتى المتمردين يلعبون دورًا ما، شعورك بلا قيمة تجاه كل شيء أسوأ بمراحل ممن يلعب دور المتمرد، فحتى المتمرد يطارد هدفًا ما يعتقد أنه سيجعل نهاية المسرحية سعيدة؛ لا يوجد سعداء في المسرحية غير المشاهدين يا عزيزي .

« لقـــاء»

هنا كان أول لقاء لنا،
اعتادت أن تجلس وحيدة شاردة في ذلك الفراغ أمامها مع موسيقاها الخاصة وبعض الوريقات، كم كانت جميلة، رقيقة الملامح، هادئة الطباع كفراشة تقبع في شرنقتها الخاصة .
لم أرد يومًا أن أقتحم عالمها الرقيق هذا، فقد كانت تكفيني مراقبتها من بعيد لأشعر بسعادة عارمة، لأشعر أن الكون ما زال جميلًا، وأن الحياة ما زالت تحوي أشياءً تستحق ألا نرحل .
حتى جاء ذلك اليوم، لو أخبروني ألف مرة أنني سأفعل لم أكن لأتخيل؛ فلقد اقتحمت عالمها، وجلسنا سويًا نتجاذب أطراف الحديث، أنا لست بهذه الجرأة كما بدوت، ولكن فجأة ومع أول دمعة سقطت منها؛ اهتزت أركاني بشدة وكأنني أنهار، وكأنه صراع بقاء أن تكف عن البكاء .
من في ذلك العالم يقوى على جرح كائن كهذا يا ترى! حقًا لا أدري، فحتى هذه اللحظة، كنت أظن أن البكاء قد خلق لنا نحن فقط .
لم أسألها عن سبب بكائها، فقط سحبت المقعد وجلست ونظرت إليها في عينيها، أشاهدهما تبكيان وكل دمعة كسهم يغرز بقلبي، حتى توقفّت ثم همسّت بصوتٍ بالكاد سمعته: "أنا آسفة" .
لم أدر حتى اليوم من منا كان يجب أن يتأسف للآخر أنا أم هي!!
تحدثنا في أشياء كثيرة كأننا رفاق الأمس، وكأن ذلك الصمت الذي كان يملأ حياتي سابقًا؛ لم يكن إلا ادخارًا لذلك اليوم، تحدثنا في كل شيء، الفن والأدب والحياة، ولكني لم أهتم كثيرًا سوى أن أجعلها تبتسم، أن أرى ذلك الوجه الذي ألفته .
إن كنا حقًا نستطيع أن نسرق لحظات السعادة من الزمان فتلك كل ما سرقت .

مر الوقت سريعًا، استأذنّت للرحيل، صافحتها مبتسمًا ثم رحلّت، بكل بساطة رحلّت .
ومنذ ذلك الحين وأنا أعود لنفس المكان كل يوم؛ أنتظر عودتها ولا تعود، فلقد رحلت .
رحلت بعد أن أسرت ذلك الشيء الضئيل داخلي، فقط رحلت .

« أسطورتها »

أجلس إلى نفس الطاولة، أرتشف بعض من قهوتي المعتادة،
تقع عيني على إحدى الطاولات التي تطل على الأمواج؛
أتذكرها،
وأذكر ذلك اليوم وتلك الساعة . كانت تجلس إلى هناك -كما اعتادت
دائمًا- أبحث عنها بين الوجوه الكثيرة العابسة أمامي، فلا أجدها،
ترتفع ضحكات بالجانب الآخر أنظر مسرعًا، فلا أجدها أيضًا
أرقب الباب في توتر جم، تدق ساعتي: "إنها التاسعة،
لم تأخرت اليوم؟"
يزداد التوتر فتحتضن نظراتي الفراغ المترامي، لا أثر لها .
أتصبب عرقًا، أهرول إلى الحمام، أدفن رأسي تحت الماء البارد .
أهدأ،
أرفع رأسي في تباطؤ جم، وأنظر إلى المرآة
لتذكرني بعض خصلات شعري البيضاء
أنه قد مر عشرون عامًا .

الزهـــايمـــر

يومٌ شاق للغاية، بعد قيادة طويلة قاربت السبعمائة كيلومتر معظمهم تحت حرارة الشمس، رغم وهن جسده الذي يضن عليه بالطعام والشراب دومًا، إلا أنه كان يعلم أنه يستطيع البقاء على قيد الحياة، هذا هو الإرث الذي خلفته تلك الأيام التي قضاها بالجيش داخله، أنه يستطيع البقاء ما دام هناك نبض بجسده مهما كان ضعيفًا وغير مسموع .

بعد دقائق كان في منزله أخيرًا، وما هي إلا ثوانٍ معدودة حتى كان تحت المياه الباردة تحتضنه وتعيد الحياة ثانيةً لجسده النحيل .

يتذكر تلك الأيام جليًا، حينما كان الحصول على بعض الماء يكفي للإستحمام في وسط الصحراء بمثابة مكافأة عظيمة وشعور بالسعادة لا يضاهيه شعور بالحياة .

انتهى وأغلق المياه، ثم نظر نظرة طويلة إلى ملابسه المعلقة خلف الباب أمامه، نظرة استغرقت ثواني لم يفهمها قرينه الذي كان يشاهده حتمًا؛ ثم ابتسم ابتسامة قلقة وكأنه يقول لعقله، كف عن تلك الدعابات السخيفة!!

ابتسامة سرعان ما اختفت حينما أدرك أنها ليست دعابة؛ إن الأمر حقيقي بالفعل، فلم يكن يتذكر أي ملابس قطنية خلعها عن جسده للتو وأيها أحضرها نظيفة ليرتديها، وبالطبع تملكه العناد أن يقترب ويتفحصهم فهو ما زال مقتنع أنه سيتذكر، ولكن هيهات .

ليستسلم ويجلس على مقعد صغير خلفه، لا تندهش فبحمامه كان يوجد مقعد، وأداة تشغيل موسيقى، وعلبة من السجائر، وقلم ودفتر، وأشياء أخرى لا أدري ماهيتها .

جلس مسندًا برأسه على الحائط خلفه، وهو عاري تمامًا، ثم أشعل لفافة

من التبغ، يعلم جيدًا أنه ينسى وأن ذاكرته ليست بأفضل حال، ولكنه لم يكن يتوقع أنه وصل لهذا الحد؛ نصحوه كثيرًا أن يزور أحد الأطباء النفسيين، ولكنه لم يكن يريد الاستسلام حتى تلك اللحظة .
هو يعلم جيدًا أنه بخير، يعلم أيضًا أنه مر بأوقات عصيبة، عقله مرهق بعض الشيء لا أكثر، فليس بهين أن يمر شخص بكل تلك الحوادث من الخيانة والفراق والفقد والافتقاد .
يتذكر جيدًا ملامح وجهها، عينيها، صوتها، يتذكر طفولته أو تلك الفترة من حياته التي كان ينبغي أن يكون طفلًا، إلا أنه أضطر للتنازل عن طفولته والذهاب للعمل ليلبي مطالبه البسيطة للغاية، والتي لم يكن يعلم من هو المسؤول عن تلبيتها آنذاك، يتذكر أشياء كثيرة بعيدة ولكنها هامة .
وفجأة تذكر تلك العبارة التي ذكرها أحمد مراد في روايته الفيل الأزرق: " . . . المريض النفسي هو أخر واحد بيعرف إنه تعبان" .
هنا انتهت لفافة التبغ دون أن يسحب منها سوى أول نفس، ليقرر أن يزور ذلك الطبيب ليثبت لهم جميعًا أنه بخير .
نهض وتفحص ملابسه وارتداها ليخرج ويكمل ارتداء ملابسه ويضع عطره ويلتقط مفاتيح سيارته ويخرج مسرعًا يستقلها وينطلق، ثم خطوات ويقف بوسط الطريق لا يتذكر أين كان يريد الذهاب .

قلوب

كانت تعلم جيدًا أنه لم ينسها بعد، وما زال مغرمًا بها بشدة، ولكن للأسف فالهاء هنا لم تكن تعد عليها هي بل حبه الأول،
ولكنها لم تستطع يومًا التوقف عن حبه الذي كان يزداد بقلبها يومًا بعد الآخر .
وقفت بشرفتها تنتظر مروره، فبالطبع سيمر اليوم .
فاليوم زفاف تلك الفتاة - حبه الأول - ولأنها تعلم كم هو عنيد وكم كان يعشقها، فلقد كانت على يقين أنه سيذهب .
بالفعل مع دقات الثامنة وجدته يسير ببطء مترنحًا وكأنه ثملًا في طريقه إلى حفل الزفاف، ليرى محبوبته وللمرة الأخيرة .
وبمجرد دخوله إلى مكان الزفاف وقعت عيناه عليها، وكأنها كانت تبحث عنها بين الجموع .
رجفة ما هزت أركانه؛ ولكنها لم تمنعه من التقدم ليصافح عريسها ويصافحها .
لحظات قليلة دار بين عينيه وعينيها حوار غريب وطويل وقاسٍ، لم يفهمه سواهما .
نزل إلى المسرح وأخذ يتراقص كمجنون، كثور عنيد يصارع من حوله، وفجأة
سقط، نعم سقط .
لم يشعر بهم إلا وهو يتكئ على أكتافهم يساعدونه على الوقوف، أبعد يديه عنهم بعناد وكأنه ملاكم يثبت للحكم أن الضربة القاضية لم تنل منه بعد .
نظر إليها نظرة أخيرة مليئة بلومٍ ما، ثم مضى يترنح إلى الخارج،
ورغم كل عناده وقوته لم يستطع أن يمنع تلك الدمعة .

نظر إلى قلبه وأخذ يضربه بقسوة؛ وكأنه يلومه على حبه لها، سار في الطريق وكأن تلك الدمعة كانت مفتاح لسيل من الدموع تمالكها طيلة حياته .
وما زلت تلك المغرمة تقف في شرفتها، وما أن رأته يترنح حتى علمت بما حدث، لتشعر به يمسح دموعه، فاستسلمت هي الأخرى لدموعها، ونظرت إلى قلبها ثم أخذت تهز رأسها، وكأنها تسأله عن السبب
لم هو؟
دخلت إلى فراشها وهي تنظر إلى قلبها .
وصل هو الآخر إلى بيته، ودخل إلى فراشه وهو ينظر إلى قلبه .
ولم يعرف أحد منهما حتى الآن لم الآخر !!
فما زال ذلك السر يختبئ داخل قلبيهما وأظنه سيظل هكذا طيلة الحياة .

قلوب ٢

استيقظ اليوم التالي منهكًا للغاية، يتملكه حزن جم جراء ما حدث البارحة بالطبع .
فلقد كانت بين أحضان رجل آخر، ذنبه الوحيد في نظره أنه أصبح زوجها .
نهض متثاقلًا يتملكه يأس عاقل؛ فلقد انتهى الأمر .
وكما اعتاد دائمًا أن يضر نفسه التي يبغضها، حضر فنجان قهوة وأشعل سيجارته، ثم جلس شاردًا فيما حدث، في محبوبته، في تلك السنوات العشر التي ضاعت في حبه لها .
ليسمع صوت داخل رأسه يردد:
" لقد انتهى الأمر" .
أخذ يقاومه ولكن هيهات، فبالفعل لقد انتهى الأمر .
ليقرر أن يكتب نهاية لمسرحية حياته الهزلية تلك،
أحضر حقيبة ذكرياته التي تجمع تلك السنوات العشر، ثم خرج مسرعًا وتوجه إلى الشاطئ، الذي طالما جلس به وحيدًا يفكر بها، ويستمتع بحبه لها .
أخرج كل ما بالحقيبة من وريقات، صور، ذكريات، وقبل أن يتردد؛ ألقاها بعيدًا لتحتضنها المياه، ثم وقف يرتعد وهو يشاهدها تغوص بالأعماق، ولكنه فشل ثانية أن يمنع تلك الدمعة .
وبينما هو في تلك الأثناء أتت موجة ما لتبلل ثنايا هندامه، ولكن لفت انتباهه تلك القبعة التي حملتها الموجة إليه، إنه يعرفها جيدًا -نعم إنها هي- تلك القبعة التي أحضرتها له ندى بعيد ميلاده العشرين، يعلم أنها تعشقه وتتألم لألمه، بل يعلم أنها كانت تقف بشرفتها بالأمس لتشاهده ذاهبًا وعائدًا من حفل زفاف محبوبته،

كيف ألقاها بالخطأ؟
ألتلك الدرجة ننسى ولا نبالي لمن يحبوننا، شعر بسيل من اللوم، فهو من تذوق تلك الآلام كان سببًا في مثلها لتلك التي أحبته بصدق،
ألهذه الدرجة لا نرى بأعيننا غير البعيد وننسى ما تحت أقدامنا،
شعر بمزيج من الألم والامتنان لتلك الموجة، وقرر أن يبدأ اليوم مسرحية جديدة تلعب ندى دور البطولة بها .
توجه مسرعًا إلى منزلها وهو على يقين أنه سيراها بشرفتها حتى تراه كما اعتادت - فهو موعد ذهابه إلى عمله .
ولكن للأسف، فلقد كانت الشرفة مغلقة،
فلم يكن يعلم أنها أيضًا قررت أن تبدأ مسرحية جديدة، هو ليس بطلها .

شخصٌ آخر

لقد عادت، عاد النسيم إلى الحياة، عاد الربيع بل عادت الحياة ذاتها . بعد غياب ثلاث سنوات كانت عودتها كفيلة أن تهز كيانه، أن يتراقص وجدانه، أن يهيم شاردًا في ثلاث سنوات مرت وهي بعيدة، لم ينس للحظة كم كان يحبها؛ كلماتها كانت كفيلة أن يتجمد في مكانه متخيلًا لحظة لقاءهما . مرت الساعات بطيئة قبل أن يلتقيا، كان متلهفًا لرؤياها، فلم تكد تظهر في نهاية الطريق حتى رآها .

لم تتغير، ما زالت جميلة، ما زالت نظرتها حياة أخرى لقلبه البائس الصغير، سرق من الزمن دقيقتين من السعادة مرت سنين قبل أن تصل إليه؛ نظرة في عينيها كانت كفيلة ألا يتمالك قواه لمصافحتها، فأشار لها لتتقدم أمامه كما تعلم كيف تحترم المرأة، أو حتى لا يضيع لحظة تغيب فيها عن عينيه، لا يدري .

جلسا وابتسامته لا تفارق وجهه، نسي أو تناسى فهناك شيء صغير بداخله ليس ملكه، لم ينس للحظة كم كان يعشقها . كانت حزينة لدرجة جعلته يتظاهر بالقوة محاولًا احتواءها، أفكارها مشتتة ونظراتها مضطربة؛ ودت كثيرًا أن تعتذر له عما صدر منها قبل ثلاث سنوات، ولكنها في كل مرة تتردد لتصمت . مر الوقت سريعًا لتضطر أن تغادر، وقف ليراها للمرة الأخيرة قبل أن تختفي . ثم عاد لبعض من موسيقى ال jazz وسيجارة وفنجان من القهوة لم تكن أمر اختياري في ذلك التوقيت، صراع شرس بداخله كاد أن يمزقه إلى أشلاء، ولأول مرة في حياته يسمع صوتًا لعقله، ذلك العقل الذي لم يتحدث يومًا أو يقرر أو يرفض، لم يكن إلا تابعًا مطيعًا لقلبه الجامح المصاب بنرجسية عمياء .

تتذكر كام كانت جميلة! حبها وشغفها بكلماتك! نظرتها، عينيها، صوتها، كل شيء .

نعم تتذكر؛ لكن ألا تتذكر قسوتها حين الفراق، ألا تتذكر دموعك وضعفك! أنانيتها وحبها لذاتها، هي ذهبت وهي عادت، أين أنت من هذا أو ذاك؟! أستظل طيلة حياتك ضعيف مسلوب الإرادة تتقاذفك أمواج الحب والحنين؟ أتعلم لم عادت؟ أعلم أنك تعلم ولكن غرورك وضعفك يمنعك أن تؤمن، تؤمن أنها عادت بعد أن تركوها، بعد أن فتشت دفاترها القديمة البالية فلم تجد غيرك يعطي ويحب ويفي، تصدق أو تنكر لن يغير الحقيقة في شيء، تقرر أو تخضع لا يهم، فمن الآن جاء دورك لتكون تابعًا . تزداد الموسيقى قسوة وتزداد الذكريات والصراع ضراوة، وهو وحيد شارد . لم يفق إلا على ضوء هاتفه مشيرًا بوصول رسالة جديدة منها، وهنا علم أنه يستطيع الرفض، أنه يستطيع أن يقول: " لا "، ولأول مرة في حياته، إنه نضج أخيرًا ولم يعد ينسى من قسا عليه يومًا، إنه أصبح شخص آخر يستطيع أن يحمي قلبه البائس الصغير .

« صدفة »

الصدفة.
الصدفة هي اليد الطولى للقدر، هي الورقة الرابحة والإجابة النموذجية لأي شيء يجب أن يحدث دون تفسير .
يوم ممل ومرهق، انتهت فيه طاقتنا وما زال أمامنا طريق طويل .
لحظة شرود ما جعلتنا نضل الطريق، ولم أكن أعلم أن الصدفة ستلعب دورًا ما، فَبِطريق لا أعلم مُنتهاه وفي توقيت لم أختره وجدتها أمامي تسير بجوار أحدهم .
لحظة مرت كسنين
لا أدري كم مر من الوقت حينها لأتيقن أنها هي، نعم هي .
وما أن رأتني حتى اضطربت خُطاها وتعثرت خطواتها لأتيقن أن هناك خطب ما .
كثير من الوعود والثقة والإحساس بالأمان تحولت فجأة لإحساس بشع بالمقت والكره والخوف .
نظرة في عينيها الخائفة كانت كفيلة أن يموت بداخله شيء ما، أن يفقد الثقة في كل البشر وفي نفسه أيضًا .
لا أدري ماذا فعل حينها فلقد انفجر داخله بركان لم يخمد حتى يومنا هذا .
ولكن ما أنا على يقين منه، أنه مات ملايين المرات منذ ذلك الحين، أن الخيانة تراوده كلما غفا، وأنه أضحى يخشى الصدف كما يخشى طفل الأشباح في القبو الخلفي للمنزل .

جاثوم

مر عام الآن على تلك الذكرى السيئة، حينما تعرض لأسوأ ما قد يتعرض له شخص في مقتبل العمر مثله في حياته، حينما خانته صديقته بعد أعوام من تمثيلية متقنة بالحب والوفاء، تمثيلية كان هو الساذج الوحيد بها .
منذ ذلك الحين واختل كل شيء في حياته ببشاعة غير مسبوقة، فيمكنني أن أخبرك أنه منذ عام كامل لم ينم ليلًا إلا وراودته كوابيس عن الغدر والخيانة، أنه توقف عن النوم ليلًا تمامًا، توقف عن مخالطة البشر رغم خوفه من الوحدة، أنه أضحى نحيلًا أكثر من ذي قبل،
اليوم مر عام على موت ذلك الشخص داخله، ذلك الشخص الذي ظل يبنيه لسنين وسنين، انهار في يوم واحد، كاليوم من عام
جلس ورفع صوت الموسيقى قليلًا، فهي الوحيدة القادرة على إيقاف تلك الضوضاء داخل رأسه، ثم سحب زجاجة كحول كان قد احتفظ بها لهذا اليوم، وأخذ في مقاسمتها مع نفسه، ثم رفع صوت الموسيقى أكثر فأكثر .
الثالثة صباحًا، استيقظ على صوت انفجار بجوار رأسه هم لينتفض ولكن هناك شيء ما كبله في فراشه، شيء قيده بالكامل، يديه وقدميه وحتى رأسه لم يستطع تحريكها ليساره ليرى صاحبة ذلك الصوت وهي تضحك إلى جواره، شعور بشع بالعجز والرعب داخله مع صوت ضحكاتها المتعالي،
ليس حلمًا فهو يرى زجاجة الكحول على المنضدة أمامه، ويرى هاتفه وقدميه، يرى كل شيء .
لم يستطع التفوه بكلمة واحدة أو حتى حرف، ولا يدري هل كبل ذلك الصوت لسانه أيضًا أم أنه هول الصدمة .

ظل على هذه الحال بين تلك الضحكات إلى جواره وذلك الرعب الدفين ف قلبه والعرق المتناثر على جبينه، حتى سمعها تهمس في أذنه: "سأقتلك ولكن ليس الآن" . لينتفض فجأة كمن صعقته موجة كهربائية شديدة التردد، فلا يجد صاحبة الصوت ولا يجد أي أصفاد حول جسده، ليشعل لفافة من التبغ ويستلقي قائلًا لنفسه:
"اهدأ يا عزيزي إنه الجاثوم ثانية" .

ليست مجرد ابتسامة

حينما يجتمع الملل والفضول سويًا، بالطبع لن ترضيك النتيجة .
على أية حال
يتيح لك " فيسبوك " خاصية لا تتيحها الحياة،
حينما ينتهي دور أحدهم في حياتك يأتي دور " البلوك "،
ستطرده من عالمك بضغطة زر واحدة، ستحرمه من قراءة كلماتك، من رؤية عينيك، من حديثك مع نفسك ومع الكون من حولك .
بعض الكلمات لا تتعدى أهميتها عند الكثيرين سوى مجرد كلمات، لكن عند شخص يحبك فهي كل شيء .
هي أنت، ما يدور برأسك، ما تخطط له، ما سبب حزنك أو سعادتك، في المجمل هي إجابة عن السؤال الأشهر بدُنيانا " إزيك؟"
طرد الكثيرين من عالمه طيلة حياته حتى أتى ذلك اليوم .
حتى طُرد هو من عالمٍ ما،
شعور غريب لم يشعرً به من قبل، ولم يكن يعلم أنه محزن لهذا الحد .
بعض الفضول ممزوج بالعناد، ومغلف بحب دام لسنوات، دفعه أن يتلصص على عالمها من بعيد، أن يقرأ كلماتها، أن يرى عينيها مجددًا .
استغرق الأمر بعض دقائق ليتمكن من الدخول لعالمها الافتراضي مجددًا ولكن كشخصٍ آخر .
النظرة الأولىً: ابتسامة مليئة بصدمة ما .
حيث صورتها هي وإلى جوارها أحدهم، نظرات مشتتة قبل أن تُرسم أمام عينيه الصورة كاملة .
جو حافل وبيدها خاتم زفاف، تسارعت دقات قلبه في هبوطٍ حاد، أحاسيس مضطربة، أفكار مشتتة، الأرض تدور من حوله، طرقً جبهته بشدة وما زال لم يستوعب ما يحدث .

هي؟!
أشعل سيجارة ثم ألقاها بعيدًا ونيران أنفاسه تكاد تلتهم جسده كله، بل تكاد تلتهم كل ما حوله .
حب، وفاء، وعود، أشياء كثيرة تنهار أمامه، ولا يمتلك سوى مشاهدتها تنهار .
أبكل تلك البساطة أنهت كل شيء،
نسيت اشتياقها إليه، خوفها عليه، تلك الرعشة في لمسته، دموعها التي سالت أمامه يومًا ما، كل هذا كان وهمًا .
كل ذلك الحب كان مصطنعًا!!
كل ذلك الألم بداخله،
لم يمر سوى أيام على فراقهما فما زال يتذكر صوتها؛ ما زالت ترن ضحكتها بأذنيه،
دوارٌ شديد، ثم سقط .
أنفاس مضطربة، أفكار مشتتة، قسوة وارتعاد يهز جسده النحيل بالكامل .
مرت ساعة في سكون وصمت تام، كانت كفيلة أن يتذكر كل شيء، بل كانت كفيلة أن يموت بها آلاف المرات .
كان يعلم جيدًا أن ذلك اليوم سيأتي، ولكن ليس بهذه السرعة،
كان يعلم أنها ستنساه وتبدأ حياة أخرى، ولكن ليس قبل أن يُشفى هو الآخر .
كان يعلم كل شيء ومع ذلك فُطر قلبه، مات رغم أنه كان يعد نفسه كل يوم لذلك اليوم، لم يكن يعلم أنه سيكون بتلك القسوة، لم يكن يدرك أن المواجهة ستكون قريبة هذا الحد .
هدأت حرارة أنفاسه ليشعر بحرارة الدموع تحرق وجنيته،
تمالك نفسه وملم حطامها شيئًا فشيئًا، ثم استجمع قواه واتكأ على كرسي إلى جواره لينظر إليهما ثانية .

اندهش حينما رأى تلك البسمة العريضة على شفتيها .
ليست بسمة شخص فارق حبيبه وأُجبر على تقبل الواقع، ليست بسمة فتاة تعرفت على شخص منذ أيام، ليست ابتسامة شخص فُطر قلبه يومًا .
ليست مجرد ابتسامة .
أحاسيس مميتة بداخله هل ينسى؟ هل ينتقم؟ هل يصرخ ويبكي؟!
لا أدري حقًا ماذا دار برأسه في تلك اللحظة، لا أدري حقًا كيف كان يشعر حينها!! ولكنني على يقين تام أنه لن ينسى ذلك الدرس طيلة حياته، فخلف ابتسامتها ظهر شخصٌ آخر لم يكن يعرفه طوال كل تلك السنوات .
فحقًا، لم تكن مجرد ابتسامة .

محبوبته

نظر إلى زجاج الشرفة المبلل بقطرات المطر وأشعل سيجارته، ثم استقر بين
أحضان مقعده ليأخذ نفسًا عميقًا من الدخان كفيل أن يرسم صورتها أمام عينيه .
لم يعد يحسب كم مضى من الوقت على الفراق، فهو يتذكر كل شيء كأنه البارحة؛ يتذكر عناده وكبرياءه ورفضه المستميت لفكرة الحب؛
يتذكر خضوعه واستسلامه واعترافه بحبه لها،
أول لمسة من يديها، شوقها عليه، كل شيء .
حربٌ طويلة أصرت هي عليها ونجحت أن تكسبها، دفاعات قاسية وأسوار عالية استغرق سنوات يبنيها حول قلبه، لكنها نجحت أن تخترق بحبها كل شيء حتى تملكه ذلك الحب تمامًا، وأضحت هي له الحياة، حبه الأول والأخير، ابتسامته وحزنه .
أضحت هي كل شيء ثم رحلت أو أُجبرت على الرحيل،
حارب كثيرًا ولكنه فشل؛ وأنهكته الهزائم .
صمت طويل
انتهى بنهاية سيجارته، ليمسك هاتفه ويكتب رقمها الذي جاهد نفسه كثيرًا أن يمحوه من ذاكرته ولكنها كقلبه، لا يملكها .
لحظات من التوتر والترقب وسكون تام لا يشوبه سوى صوت ضربات قلبه العالية المضطربة، لترد .
صوتها حياة أخرى قرر القدر حرمانه منها، سلب منه حتى حق السؤال عن أحوالها .
ثوان مرت كسنين قبل أن ينغلق الخط .
أخذ نفسًا عميقًا وأمسك جبهته، فرغم كل ذلك الوقت لم ينس حبه

لها، ولكن
أظنه أيضًا لن ينسى صوت بكاء ذلك الطفل إلى جوارها .

فـــوديـــكـــا

في شقة صغيرة في مكان ما، حيث ضوء خافت يتسلل من أحد الغرف ليبدد تلك الظلمة، وبعض من موسيقى pink floyd تكسر حدة ذلك الصمت الذي يملأ الأرجاء .
كان يجلس أحدهم بأحد الأركان على مقعد يتهاوى، فلا يكاد يصل إلى الأمام حتى يعود للخلف ثانية .
تلك الخطوط التي ظللت وجهه كانت تدل أنه في الستينات، أو أكبر قليلًا ربما، وتلك الرعشة في يده حينما كان يحاول السيطرة على لفافة التبغ الممسك بها تتدل على ثورة عارمة داخل نفسه ربما، بل من المؤكد أن هناك خطب ما يدور داخله تفسره تلك النظرة لزجاجة من الفودكا ملقاة أمامه .
نعم، اليوم أتممت عامي الخامس والستين، أحيا وحيدًا كما ترى، فلقد كنت أجبن من ذلك القرار أن تشاركني إحداهن تلك الفوضى العارمة في حياتي، تقاعدت من العمل منذ عشرين عامًا، نعم عشرون؛ فما المجدي من عمل يعطيك نفس الراتب نهاية كل شهر إن أبدعت كل الإبداع أو لم تحرك ساكنًا من الأساس؟! أين المتعة في أن تظل نفس الشخص مهما قدمت؟!
أعاني من بعض ألزهايمر أو ربما عقلي مرهق للغاية، لا أدري ولكني لا أتذكر أخر مرة غادرت المنزل، أخر مرة تناولت الطعام، توجد أرقام محفوظة على هاتفي لا أعرف لمن تعود رغم وجود الاسم .
فشلت طيلة حياتي في الوصول إلى هدفي المرجو منها، تلك السعادة المزعومة؛ بل فشلت أن أستعد جيدًا لهذا اليوم، أن يتوقف ذلك الصوت في عقلي .
أن أقلع عن التدخين والكحول بالطبع، فشلت ربما لأنني أردت الفشل،

ربما لأنني لا أستحق أكثر من أن أكون هكذا، مجرد كهل وحيد وسكير لا يكترث أحد لمعاناته، ينتظر الموت كل لحظة لتقتله الأفكار ألف مرة باللحظة الواحدة، ولا تتوقف إلا حينما تختلط دماءه ببعض الفودكا، ويختلط وجدانه ببعض الموسيقى .
الآن وبعد كل تلك السنين، ما زال لا يدري بعد ما الهدف من الحياة، أن نموت أو نبقى أحياء، من يهتم وما هي الغاية؟
كل من خانوه لم ينالوا الكثير، بعضهم اختلط بالتراب والبعض ما زال ينتظر .
كل من أحبهم بصدق رحلوا أو أُجبروا على الرحيل، سواء فالنتيجة واحدة كهل في أواخر العمر يقبع وحيدًا .
كل الصراع الذي كان جزءًا منه أو حتى شاهدًا عليه قد انتهى، لتمسي النتيجة ذاتها .
ما كل تلك المعاناة، ما كل هذه القسوة ما دامت النتيجة واحدة! لم لا تتركنا الحياة ننال بعض السعادة قبل أن نلقى مصيرنا المحتوم !!
قبل أن نصبح مجرد لا شيء؛ ألا يكفيها أننا نفتح أعيننا عليها لتخبرنا أننا سنفارقها يومًا ما قريب أو أقل قربًا، ألا يكفيها أن نموت دون أن نعرف لما وجدنا من الأساس .
أما يكفيها كل تلك المعاناة!
انتهت لفافة التبغ وفرغت زجاجة الفودكا، وصمت أخر جرس من أجراس pink floyd ليعم الصمت، صمت قميء استمر لدقائق قبل أن يبدده صوت تلك الرصاصة التي أنهى بها حياته، دون أن يكترث أحد .

« حبه الأول »

شعر بيديها تحتضنه، وكأنها تقول له: "لا تخف، أنا دائمًا هنا بجانبك" .
نظر إليها مبتسمًا وقبّل يديها، ثم طلب منها برفق أن تتركه وحده قليلًا، فلم تسأله أو تجادله كثيرًا فقط تركته كما أراد .
دفع عجلات كرسيه المتحرك وتقدم نحو مرآة في أحد أجناب غرفته ونظر إلى نفسه نظرة يملأها ألمٌ ما .
أضحى هكذا قعيدًا بعدما كانت تملأ روحه حيوية وجموح لا يستطيع نسيانه، أسى وحسرة وعجز يملأ ملامح وجهه، وهو لم يتجاوز الثلاثين بعد .
يعلم أنه ظلمها كثيرًا ولم يعطها مقابل كل هذا الحب الذي منحته إياه .
تزوجها منذ سنوات وقلبه ما زال معلقًا بأحبال الذكريات، يعلم أيضًا أنها كانت تشعر دومًا أن قلبه ليس معها، لكنها لم تكف يومًا عن حبها له، وإخلاصها وخوفها عليه، كأنه طفلها لا زوجها . حقًا لم تتوان أن تعطيه كل حياتها، ولم تتزمر يومًا أو تعترض على عصبيته المفرطة ومزاجه المتقلب وقسوته أحيانًا .
لم ولن ينسى دموعها حينما رأته بعدما أصيب في عمله، وكان يهزى بشدة وحوله الأطباء يحاولون إيقاف سيل الدماء من ساقيه، ابتسم وهز رأسه في رضا .
هدأ وارتاح في كرسيه لتقع عيناه أعلى المرآة، حيث كُتب: "لا تدْرِي لَعَلَّ اللَّهَ يُحْدِثُ بَعْدَ ذَلِكَ أَمْرًا"، صدق الله العظيم .
ابتسم ليتذكر تلك الفتاة، تلك الذكريات، وتلك السذاجة التي تملكت قلبه، وأعمت عينيه أن يرى تلك الزوجة الهادئة، الرقيقة، المحبة له بكل جوارحها، ذكريات حبه الأول، أو كما كان يسميها، والتى تخلت عنه منذ زمن بعيد في ظروف أبسط وأتفه كثيرًا وتزوّجت أول شخص

مناسب يطرق بابها .
كيف كان سيشعر إن تزوجها وتخلت عنه اليوم وهو لا يملك أن يساعد نفسه!! تلك هي أمانينا، وتلك هي الحياة، وتلك هي حكمة رب العباد، بين أيدينا الكثير ولكن يحتاج فقط أن ننظر إليه .

تحت المظلة

كم كان الجو شديد البرودة؛ حيث كادت الأطراف تتجمد، وها قد بدأت الأمطار تهطل بغزارة غير معتادة .
ولكن كم أنا محظوظ، فأنا أصف مشهد المارة فقط؛ حيث أنني أقود سيارتي في طريقي إلى المنزل بعد يومٍ من العمل الشاق والممل أيضًا، لذا قمت بتشغيل بعض من الموسيقى .
لم يكن ليوقفني شيء، فأنا أحتاج بشدة لفنجان من القهوة،
وبينما أنا في طريقي وعلى أنغام على الحجار: " مطر وعصفور ارتعش" . فجأة شعرت برعشة أسفل عنقي جراء شيء ما شاهدته، وجعلني أتوقف على أحد جنبات الطريق .
فأظنها هي التي تقف هناك،
نعم إنها هي التي تقف هناك تحتمي تحت مظلة ترتعد من قسوة البرودة، ويبدو عليها الإرهاق المفرط .
لا أعرف لم توقفت؟ فيجب أن أعاود السير،
ازدادت الأمطار شراسة،
لذا ودون تفكير،
قررت أن أقترب منها وأقترح توصيلها حيث تشاء، ورغم شكي في نجاح هذا إلا أنني أدرت المحرك واقتربت أكثر فأكثر، حتى كدت أصل إلى أن جائت سيارة أخرى حالت دون وصولي إليها، ليخرج منها شخصٌ ما ويتوجه إليها، وما كاد أن يصل حتى وجدتها تهفو إليه لتستقر بين أحضانه، وكأنها تستمد منه إحساسها بالأمان، وتلومه أيضًا على تأخره في المجيء، وبدوره هو الآخر وكأنه يعتذر لها ويمدها بأمان أكثر، أخذ يداعب خصلات شعرها المبللة بالماء، ثم خلع معطفه ليضعه على كتفيها، ويسرعان إلى السيارة؛ لينطلقا حيث لا أعلم .

تجمدت كل أطرافي من المشهد أو حتى من هول المفاجأة، لا أعرف .
نعم بالتأكيد أظنه هو،
رغم أنني لم أره من قبل حيث رفضتُ بالطبع الذهاب إلى حفل زفافهما رغم الدعوة المزخرفة التي وجدتها أمام باب شقتي،
استفقت فجأة على صوت السيارات خلفي تطالبني بالتحرك؛ فلقد كنت أقف بعرض الطريق .
وبالفعل أدرت المحرك وانطلقت لأشعر بحرارة الدموع تتساقط على وجنتي، ولكنني تمالكت كل هذا بابتسامة صغيرة،
قائلًا لنفسي: "اهدأ إنها تشعر بالأمان الآن" .

« مسار ليس إجباري»

وقف مضطربًا يحاول تمالك نفسه واتخاذ قرار مناسب، وقف ها هنا حيث مفترق الطرق بين أنصاف الأماني، تلك الفتاة الجميلة التي يبهره بريق عينيها وحمرة وجنتيها، تلك البساطة التي تحيا بها حياتها، والانطلاق والعقل الفارغ حيث لا يجد ما يقوله ليدور حديث بينهما يستمر لدقائق، لا توجد أي نقطة تلاقي فكرية بينهما .
وتلك الأخرى الحزينة الحنونة ذكية المشاعر، حيث تكاد تمر أعوام في الحديث بينهما ولا ينتهي الكلام، تهتم كثيرًا لأمره، تحزن أكثر لهمومه ولكنها لا تملك عينين ذاتا بريق، ولا تتلون وجنتيها تحت أشعة الشمس، عادية إذا أردنا الإنصاف .
ها هنا حيث الحياة خلفك تدفعك كلما مرت أيام وسنون نحو ظهور أول شعرة بيضاء بين خصلات شعرك، وأمامك أحلامك غير مكتملة وتطالبك بالاختيار .
ماذا ستترك وماذا ستأخذ!! بمَ ستتمسك وعمَ ستتنازل!!
يضيق الوقت وما زلت مطالب بقرار .
تزداد الوساوس داخله ضراوة حتى تصل ذروتها ليقرر أخيرًا ألا يختار .
أن يبتسم للحياة غير مكترث لِما سيحدث ويقرر الانتظار .
انتظار شيء لا يعرفه بعد .

فهرس

لقاء 9
اسطورتها 13
زهايمر 15
قلوب 19
قلوب ٢ 23
شخص أخر 27
صدفة 31
جاثوم 33
ليست مجرد إبتسامة 37
محبوبته 41
فوديكا 45
حبه الأول 49
تحت المظله 53
مسار ليس اجباري 57

للتواصل مع الكاتب

facebook.com/walid.nassar.٧١٦

فصلة

للنشر و التوزيع

Fasla Publishing & Distribution

تواصل معنا :

01067000701

E-mail -: Fasla .Pub@Gmail .com

Facebook .Com/Fasla .Pub